

تأخر زواج خريجات الجامعة بالمجتمع الجزائري

تاريخ الاستقبال: 2018/06/27

تاريخ القبول: 2018/11/05

أ/ حورية بودليو - جامعة قسنطينة - 2 -

الملخص:

تأخر سن لزواج هو من الظواهر الجديدة في المجتمع الجزائري المعاصر، في الوقت الذي يصل فيه سن الزواج الى 30 سنة للنساء و33 سنة للرجال فهذا يندر بأزمة زواج حقيقة في المجتمع الجزائري، ونظرا لكون المرأة أكثر تأثرا بعامل السن لارتباطه بفترة الخصوبة لديها، هذه الفترة التي أصبحت تقضي جزءا مهما منها في مقاعد الدراسة، والبحث عن تحقيق الذات، وفي ظل تغيرات سوسيو-ثقافية مست البناء الاجتماعي ككل، كان اهمها تحولات الأسرة ومكانة المرأة في المجتمع، كيف اثر ذلك على المشروع الزواجي للمرأة؟ من خلال بحث في حقيقة الظاهرة ضمن واقعها الاجتماعي باستخدام المنهج الأنثروبولوجي سنحاول الاجابة عن هذا السؤال.

الكلمات المفتاحية: تأخر الزواج، التعليم، تغيرات الأسرة، النظام الأبوي.

Abstract :

Lateness in age of marriage is one of the new phenomenons in contemporary Algerian society, while the age of marriage reaches 30 years for women and 33 years for man; this foreshadows a real marriage crisis in society. And because women are more affected by the age factor because of its association with the period of fertility, which most women part of it in puruit of education and self-realization. And inin light of the changes that the family has undergone and the changes in the social status of women how did this affect the marital project of educated women witgin a changing family? A question we are trying to answer by researching the reality of the phenomenon using the field anthropology approach.

Key words: marriage delay, education, family change, patriarchal system.

مقدمة :

تأخر سن الزواج مظهر من مظاهر التغير في استراتيجيات الزواج التي لها علاقة بالتغيرات المختلفة التي عرفها المجتمع الجزائري في مختلف نظمته وأنساقه الاجتماعية والاقتصادية، السياسية والدينية، والتعليم كأهم عوامل التغير كان له الدور الكبير في تغير الثقافة الابوية، ومنه تغير وضع المرأة، الذي بدوره ابرز اتجاهات وممارسات كان لها الاثر في المشروع الزواجي لها.

وبعد ان كانت الاسرة موسعة بثقافة ابوية محددة لأدوار ومكانات افرادها، وخاصة ادوار المرأة التي لم تخرج عن كونها تابعة لرجل أكانت ابنة او زوجة، جاءت موجة من التحولات السوسيوثقافية التي كان التعليم من اهم عواملها فغيرت في بعض سمات تلك الثقافة، واهمها دور المرأة في مشروعها الزواجي، فبالتعلم تحررت المرأة اليوم من قيود النظام الابوي للمجتمع التقليدي والأسرة الموسعة من خلال نيلها أعلى الشهادات التعليمية، واجتياحها للمجال العام الذي كان حكرا على الرجال في ظل المجتمع الابوي التقليدي الذي لطالما همش او ألغى دور المرأة وأخضعها لسلطة الرجل المعنوية والمادية¹، وعليه نطرح التساؤل التالي: كيف غير تعليم الفتاة استراتيجيات الزواج وما علاقتها بالتغيرات البنائية الوظيفية للأسرة؟.

1- أنثروبولوجيا الزواج وسن الزواج:

كان الزواج وما زال من بين اهم المواضيع التي تثير فضول الانثروبولوجيين، فمن خلال نظام الزواج اعطى الانثروبولوجيون نظرياتهم الاولى حول تطور المجتمع الانساني، التي تفترض ان المجتمعات الانسانية بدأت بمرحلة الاباحية الجنسية، الى تعدد الازواج والزواج، لتصل في مراحل متقدمة من الحضارة لتطور الزواج الاحادي، كما انها افترضت ان المجتمعات الانسانية كانت أمومية النسب قبل ان تصير أبوية.

وبالرغم من الدراسات الكثيرة حول الزواج في المجتمعات البدائية او الحضارية الا انه لا يوجد تعريف دقيق له نظرا لاختلاف وجهات النظر التي من خلالها تم تعريفه ولذلك نكتفي بتعريف عام للزواج: " فالزواج عامة هو الرابطة الشرعية التي تقوم بين الرجل والمرأة، وينظمها القانون والدين والعرف...، تنشأ عن هذه الرابطة اسرة ترتب فيها حقوق وواجبات تتعلق بالزوجين والاولاد، والغاية من الزواج استمرار الحياة في الاختلاف وينشأ بالخطبة والمهر والعقد"²، فالزواج هو النظام الاجتماعي الوحيد الذي من خلاله نظمت العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة، وتحقق العديد من الحاجات الانسانية كاستقرار النفسي والاجتماعي، بالإضافة الى استمرار النسل بالإنجاب، اما الزواج في التشريع الجزائري فهو عقد وبين الرجل والمرأة على الوجه الشرعي، ومن اهدافه تكوين اسرة أساسها المودة والرحمة والتعاون واحصان الزوجين والمحافظة على الانساب³.

وتعتبر السن التي يقبل فيها الفرد على الزواج الاحداث المهمة في حياته، الا ان الانثروبولوجيين لم يثيروا هذا الموضوع كثيرا في دراساتهم حول الزواج، نظرا لكون الزواج ظاهرة عامة في المجتمعات الانسانية كما يقوا وستر مارك: " نجد بشكل عام ان الرجال في الشعوب نصف متحضرة ونساؤهم يتزوجون بمجرد الوصول الى سن البلوغ، وينظر الى العازبين بشيء من الاحتقار والتسخيف، وكأنهم غير طبيعيين....، فالقاعدة العامة تقضي ان يحاول كل رجل ان يتزوج عندما يصل سن البلوغ، وتحاول ذلك كل امرأة أيضا."⁴

في الأنثروبولوجيا وبالرغم من كون القرابة والزواج كأهم نظام تقوم عليه أسس القرابة فقد أهمل الأنثروبولوجيون دراستهم للتغيرات التي مست سن الزواج الأول، وإن وجد اهتمام بذلك فهو يكون على هامش الهدف الأكبر المتمثل في وصف الطريقة التي تعمل بها نظم القرابة والزواج للحفاظ على النظام الاجتماعي.⁵

بالرغم من عدم وجود دراسات وافية حول سن الزواج في المجتمعات الإنسانية وكيف تطورت هذه السن أو تغيرت، ولكنها احتوت معلومات ومعطيات حول سن الزواج الأول ومتى يجب على الفرد رجلا كان أو امرأة أن يدخل حيز المتزوجين ويترك العزوبة، كما أن العزوبة مستنكرة عند كل الشعوب الإنسانية الحضارية أو البدائية، وهو الأمر الذي لم يختلف فيه كل الدراسات الأنثروبولوجية الكلاسيكية أو المعاصرة، حيث أن الزواج هو مؤسسة حيوية للمجتمع، فالعازبون والأزواج الذين لم ينجبوا يفترضون هامشيين، وعلمي الأهمية خاصة في المجتمعات التي تأخذ بتقديس الأجداد.⁶

بالرغم من كون المعطيات حول سن الزواج في المجتمعات البدائية أو المتحضرة غير دقيقة، إلا أن الأكيد أنه كان يتم في سن متقدمة ولطالما ارتبط بسن البلوغ الطبيعي الذي بدوره ارتبط بالعوامل الطبيعية، فكلما كانت درجات الحرارة أخفض كلما تأخرت سن البلوغ، فمثلا في إفريقيا يكون البلوغ بين عمر العاشرة والرابعة عشر أما في أوروبا الشمالية أمريكا الشمالية فالبلوغ يتأخر إلى سنوات أكثر من أربعة عشر سنة، وفي تفصيل قدمه لنا وستر مارك في موسوعة الزواج حول سن الزواج في دول أوروبا خلال نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين، فإن هذه السن تعتبر منخفضة عما هي عليه اليوم إذ تراوحت ما بين 18 سنة و26 سنة للإناث، و21 سنة و28 سنة للذكور، هذه السن كانت دائما في ارتفاع مستمر مع تفاوتات بسيطة حسب الطبقات الاجتماعية ونوع النشاط الممارس، كما أن معدلات العزوبة بدأت في الارتفاع في أغلب دول أوروبا، وأرجع السبب إلى الصعوبة المتزايدة لإعالة العائلة في المجتمعات الحديثة، أي أن ارتفاع سن الزواج ارتبط مباشرة بالعامل الاقتصادي، بالرغم من كونه لم يعمم ذلك، فقد قال أن الناس بشكل عام يقدمون على الزواج عندما تنشط التجارة ويرتفع التصدير فتفتح فرص عمل جديدة وتنتشر الرفاهية الاقتصادية، ولكن الملاحظ اليوم وبالرغم من وجود رفاه اقتصادي إلا أن العزوبة وتأخر الزواج أصبحت تعتبر مشكلا اجتماعيا، فازدياد انتشار التعليم والثقافة، والاختراعات الجديدة والاكتشافات وتطور النشاط التجاري وزيادة معدلات الغنى، أدت إلى تطوير تنوع أذواق الناس رجالا ونساء، فتعددت رغباتهم وكثرت متعهم وتطورت أساليب تمتعهم بالحياة، كما أن الحياة الزوجية تحمى من هذه المتع بطريقة ما، فلم يعد الزواج يحتل مكانته التي كان يحتلها فيما مضى وفقد الكثير من قيمته لدى الرجال والنساء.⁷

2- سن الزواج في المجتمع الجزائري وتغيراته:

ينص القانون الجزائري من خلال نص المادة رقم 07 من قانون الأسرة على: "تكتمل اهلية الرجل أو المرأة في الزواج بتمام 19 سنة وللقاضي أن يرخص بالزواج قبل ذلك لمصلحة أو ضرورة مع تأكيد قدرة الطرفين على الزواج".⁸ أي أن السن القانونية للزواج حددت للجنسين ببلوغهما سن التاسعة عشر سنة، ولطالما كان الزواج في ظل المجتمع الجزائري التقليدي ذو الثقافة الأبوية وفي ظل الأسرة الموسعة يتم في سنوات مبكرة بالمقارنة بالمعدلات التي وصل إليها اليوم، وبالرغم من الإزمات الاجتماعية والاقتصادية الكبيرة التي عرفها المجتمع في ظل استعمار دام أكثر من 130 سنة إلا أن مؤسسة الزواج لم تتأثر، وخاصة سن الإقبال على الزواج.

فالمجتمع الجزائري الذي لطالما اعتمد في تنظيم شؤونه الأسرية والاجتماعية على تعاليم الدين الإسلامي بالدرجة الأولى وعلى العادات والتقاليد والاعراف الاجتماعية التي لها الدور الكبير في مثل هذه النظم، لذلك لم تعرف الجزائر ظاهرة العزوبة وإن وجدت

فهي تقتصر على المعاقين ذهنيا وجسديا،⁹ فالفتي عليه ان يتزوج مبكرا من اجل الحفاظ على النسل بالإلحاح، فحسب fargues 1987، وجد ان الزواج ظاهرة عامة، فحوالي 99 بالمائة من السكان يتزوجون على الاقل مرة واحدة¹⁰.

وبالرغم من عدم وجود احصائيات دقيقة حول معدلات الزواج والعزوبة في المجتمع الجزائري، الا ان تلك المتوفرة تؤكد ان الزواج كان يتم في سن مبكرة، فمتوسط سن الزواج هو 25,8 سنة في عام 1948، لينخفض الى 25,2 سنة 1954 للرجال و20 سنة 1948، وانخفض الى 19,6 سنة في 1954 للنساء¹¹، وحسب الدراسة الاحصائية التي اقيمت حول السكان في الجزائر عام 1974، فان الفئة العمرية ما بين 45-50 سنة كلها تزوجت في سن تقل او تساوي 17 سنة¹².

سن الزواج في المجتمع الجزائري حسب الاحصائيات المتوفرة مر بفترتين، في الفترة الاولى عرف سن الزواج انخفاضا مستمرا فمن 25,8 سنة للرجال و20,1 سنة للمرأة سنة 1948 انخفض الى 25,2 سنة للرجال و19,6 سنة للنساء سنة 1954 ليستمر في الانخفاض الى غاية 18,3 سنة للنساء و23,8 سنة للرجال عام 1966¹³، والفترة الثانية من سنة 1966 الى يومنا هذا، حيث وصل سن الزواج الى 33.1 سنة للرجال و29.9 سنة للنساء حسب الحوصلة الاحصائية لسنة 2014 المقدمة من طرف الديوان الوطني للإحصاء.

فالتغير في سن الزواج لم يبرز كظاهرة اجتماعية في المجتمع الجزائري الا بعد سنوات السبعينات، وقد ربطه العديد من المختصين وخاصة في مجال علم الاجتماع والديموغرافيا تلك التغيرات الكبيرة التي مست سن الزواج الاول بدخول المرأة مجال التعليم والعمل، ففي الوقت الذي تتزايد فيه نسب التعليم عند النساء تزداد معدلات العزوبة وتأخر الزواج لديهن ايضا.

3- المقاربة الانثروبولوجية لتأخر زواج خريجات الجامعة:

المقاربة الأنثروبولوجية هي الدراسة التي تعتمد على المنهج الأنثروبولوجي المتميز بالاستقصاء الحقلّي طويل الامد، والمراقبة الخاصة، والتواصل المباشر مع المواضيع الاجتماعية التي تخطى بدورها في تأويل العالم¹⁴، وتأخر زواج خريجات الجامعة هو ناتج عن تغيرات في المجتمع، تغيرات في الثقافة ومكوناتها، فالسن التي يقترن فيها الرجال والنساء للمرة الاولى في اطار الزواج تتأثر بالأعراف والتوقعات الاجتماعية ذات الصلة. بما يلعبونه من ادوار كأزواج وزوجات، كآباء وأمهات، وهي عوامل تتغير بشكل كبير بفعل العولمة والتحضر وارتفاع مستويات التحصيل الدراسي، فالرجال اليوم على سبيل المثال يؤجلون زواجهم لزيادة توقعاتهم بالنسبة للوضع الوظيفي والاستقرار في العمل والممتلكات اللازمة لتأسيس منزل الاسرة، كما ان النساء ترجحن الزواج لسبب تحول الادوار القائمة على النوع، وهي انماط جديدة من التفكير والسلوك لها تداعياتها سواء على الافراد او المجتمع¹⁵.

ولما كانت القرابة والزواج اسسه وقواعده وطرقه وانواعه من المواضيع الاساسية في الأنثروبولوجيا، فان توقيت الزواج الاول او سن الزواج لا يقل اهمية كموضوع من المواضيع التي يجب ان تبحث فيها الأنثروبولوجيا كعنصر من عناصر سلوك الزواج، كما انه يجب ان ننظر الى سن الزواج وتغيراته على انه موضوع له تداعياته الكثيرة التي تفوق كونها مجرد ديموغرافية¹⁶.

والفهم الأنثروبولوجي لتغيرات سن الزواج يجب ان تشتمل على فهم عام لهذا السلوك الجديد في نظام الزواج ضمن مجموع السلوكيات العامة للإنسان، في سياقها الفردي والأسري والمجتمعي، باعتبار الأنثروبولوجيا هي علم للسلوك الانساني، الانسان الذي يعتبر فردا في مجتمع تسوده انظمة وانساق في ظل ثقافة معينة، وفهمنا لتأخر زواج خريجات الجامعة يدخل ضمن الفهم الأنثروبولوجي العام للتغير الذي يعتبر من أهم أهداف الدراسات الأنثروبولوجية، حيث يتعين عليها تحدد عمليات التغير الاجتماعي بطريقة الكشف

عن الانماط والابنية الاجتماعية الجديدة، وتحديد كيفية تطور الظواهر الاجتماعية من البسيطة الى المركبة، وهذا من خلال الدراسات الميدانية المركزة والمعمقة¹⁷.

عندما نتحدث عن تأخر زواج خريجات الجامعة فنحن نتحدث عن دور اهم عوامل التغير الثقافي والاجتماعي وهو التعليم، فلتعليم دور كبير في تغير وضاع المرأة في العديد من المجتمعات الانسانية، وبالنسبة للمجتمع الجزائري فقد تزامن ولوج المرأة للتعليم مع بروز تلك الاتجاهات التي تدعو الى حرية المرأة والمساواة بين الجنسين، ضمن حيث بدأت تظهر دراسات تدعو الى معالجة تاريخ النساء مع بداية الستينات من القرن الماضي تحت مسمى النسوية او النظرية النسوية¹⁸.

ان الملاحظة المباشرة للمجتمع الجزائري تظهر الارتفاع الكبير لمعدلات العزوبة والعنوسة في اوساط شبابنا اليوم، حيث انه لا يكاد يخلو بيت جزائري من عازب او متأخرة عن الزواج، فالظاهرة اليوم اصبحت تعبر عن ازمة حقيقة للزواج، لكن بالنظر لطبيعة المجتمع الجزائري الذكوري فالفتاة تبقى الاكثر تأثرا بسن الزواج، وخاصة تلك التي استطاعت ان تغير حالها ومكانتها من خلال متابعة دراستها الجامعية التي تأهلها لتتقلد مناصب شغل مختلفة مثلها مثل الرجل، وقد كان بحثها عن تحقيق ذاتها من خلال التعليم والعمل سببا في تأخرها عن الزواج الذي هو الوسيلة الاجتماعية الوحيدة التي بها تحقق استقرارها الاجتماعي والنفسي في ظل مجتمع يراها امرأة تابعة لرجل مهما بلغت من مراتب العلم والعمل.

ان الأنثروبولوجيا من خلال منهجها الاثنوغرافي القائم على الوصف المعمق لمجتمع واحد ويعرف: "بانه اسلوب من اساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة عن الظاهرة موضوع الدراسة خلال فترة او فترات زمنية محددة، وذلك من اجل الوصول الى نتائج عملية يتم تفسيرها بطريقة موضوعية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة"¹⁹، فمن خلال الملاحظة المباشرة والمقابلات نصف الموجهة مع عينة من الفتيات خريجات الجامعة اما عاملات او مائكات بالبيت بمدينة ميله واللاقي تعدين سن الثلاثين دون زواج، وباختلاف مستواهن الثقافي والاجتماعي، وبعد تحليلنا لتلك الملاحظات الميدانية لمختلف التصورات والاتجاهات الاجتماعية نحو تعليم الفتاة ودوره في تغيير وضع المرأة واثره في مشروعها الزواجي، بالإضافة الى تحليلنا لمضمن المقابلات نصف الموجهة، تمكننا من الوصول الى فهم انثروبولوجي لظاهرة تأخر سن زواج خريجات الجامعة، من خلال فهم اسباب هذه الظاهرة وواقع المتأخرات عن الزواج. وبالرغم من الصعوبات التي واجهتنا اثناء البحث الميداني، نظرا لحساسية الموضوع اولا، ولرفض بعض المبحوثات للخوض في تفاصيل حياتهن الشخصية في البداية ثانيا، الا اننا تمكننا من الوصول الى فهم دقيق للظاهرة محل الدراسة..

4- التغير البنائي الوظيفي للأسرة ودوره في تأخر زواج الفتيات:

النظرية البنائية الوظيفية الى المفتاح الذي من خلاله يمكننا تفسير ظاهرة تأخر زواج الفتيات في علاقتها بتغيرات الاسرة والثقافة الابوية، وتعود اصول النظرية الى البدايات الاولى للتفكير الاجتماعي الوضعي في كتابات كل من مونتيسكيو وهيربرت سبنسر، ثم تطورت مع دراسات اميل دوركايم، وبعدها تبني الانثروبولوجيون الميدانيون المدخل البنائي الوظيفي في فهمهم للمجتمع الانساني واهمهم راد كليف براون الذي ادخل مفهوم البناء الاجتماعي الى الأنثروبولوجيا كمفهوم أساسي للنظرية البنائية الوظيفية، وتقوم النظرية البنائية الوظيفية على أساس أن المجتمع يؤلف نسقا طبيعيا مكونا من اجزاء متفاعلة ومتساندة ذلك التساند الوظيفي الذي يميز الكل المتكامل المتماثل²⁰، ودراسة النسق او النظام تتم من زاويتين: الاولى هي دراسة النسق من الداخل، اي دراسة مكوناته من نظم وعلاقات متشابكة والثانية دراسته من الخارج، اي في علاقته بالأنساق والأنظمة الأخرى التي ستشارك معه في تكوين نسق اكبر منه²¹. وباعتبار الأسرة هي النواة الاولى لكل الأنساق الاجتماعية والقراية المعروفة في الوقت نفسه هي الوحدة الاساسية التي يقوم

عليها التنظيم الاجتماعية والاقتصادي وحتى السياسي، فالغيور البنائي الوظيفي للأسرة يؤدي بالضرورة الى تغيرات في دورها في المشروع الزواجي لأبنائها، وخاصة دور المرأة في زواج الفتاة.

بعد ان كان الزواج هو المشروع الوحيد للفتاة واسرتها، حيث انه ضمن الاسرة التقليدية الموسعة كانت الاسرة تسعى لتزويج ابناءها ذكورا وبناتا في السن المناسبة اجتماعيا قبل ان يفوتهم قطار العمر، ويهددون بالبقاء دون زواج، وخاصة بالنسبة للمرأة التي تعتبر اكثر تهديدا بعامل السن لارتباطه بخصوصيتها التي هي عامل مهم لزواجها واستقرارها الزواجي والاسري.

مدينة ميلة هي من المدن التي عرفت توسعا ديموغرافيا وحضاريا سريعا خاصة في العشريتين الاخيرتين، اي بداية من سنوات التسعينات الى اليوم، هذا التوسع الحضاري كان له الاثر الواضح على التركيبات المرفولوجية للأسرة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية باعتبارها أول وحدة اجتماعية يعرفها الطفل²². وتكاد تكون وظيفة التنشئة الاجتماعية هي الوظيفة الأساسية للأسرة، فهي عملية اجتماعية شاملة تستهدف نقل ثقافة المجتمع الى الفرد، وطبعه بطابع الجماعة التي يولد فيها²³.

بعد ان كان المجتمع الجزائري عامة يتميز بشكل الأسرة الممتدة التي تضم اسرتين نوويتين أو اكثر، ومن اكثر مميزاتها انها تشكل وحدة قرابية اجتماعية اقتصادية وثقافية تحت سلطة الجد او الاب، ضمن ما يسمى بالنظام الابوي، ولا يمكن للفرد فيه ان ينال اي خصوصية في أي جانب من جوانب الحياة سواء الاجتماعية او الاقتصادية، والزواج باعتباره حدثا مهما في حياة الفرد وطقس عبور من اهم الطقوس التي تعبر عن نضج الفرد وانتقاله من حالة الفردية الى الزوجية بما يترتب عليها من مسؤوليات والتزامات، فقد كانت الأسرة حريصة على تنظيمه وتسييره، فلم يكن للفرد المقبل على الزواج سوى الانصياع لما تمليه عليه عادات وتقاليد واعراف المجتمع، من زواج مبكر واختيار مدبر والدي او قراي، كما ان بالإضافة السلطة المباشرة تتمركز في يد الذكور منهم ضمن ما يسمى بالنظام الابوي، او السلطة الذكورية، اين تنشأ فيه المرأة بمبدأ التبعية والخضوع المطلق للرجل بصفة من الصفات، أما زوجة او ابنة.

فالمركز الاجتماعي للمرأة لا يتحدد الا من خلال الزواج، فالفتاة بصح مصدر قلق وتوجس لأهلها الى ان تتزوج وتستقر ببيت زوجها وتكون اسرة وتنجب الاطفال الذين يعززون من مكانتها. فالزواج هو النظام الاجتماعي الوحيد الذي يحدد مكانة المرأة في الأسرة والمجتمع التقليديين، ولطالما عملت الأسرة التقليدية من خلال التنشئة الاجتماعية المتميزة للذكور والاناث على ترسيخ مبادئ النظام الابوي.

تغيرت الأسرة من حيث البناء فظهرت انواع متداخلة من الأسر في المجتمع الجزائري، فالأسرة الممتدة بالرغم من احتفاظها بتركيباتها لم تعد تمثل وحدة اقتصادية وثقافية، مع الانتشار الكبير لنمط الأسرة النووية التي تتمتع بكونها وحدة اجتماعية واقتصادية ولكنها فقدت الكثير من وظائفها الاجتماعية وخاصة التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي الذي خرج من اطارها الى المؤسسات التعليمية ومؤسسات ضبط اجتماعية اخرى، فتغير بنية الأسرة غير من وظائفها وأثر اكثر على النظام الابوي التقليدي الذي لطالما حكم العلاقات ووزع الادوار وحدد المكانات الاجتماعية للجنسين، خاصة مكانة المرأة التي تتحدد من خلال الزواج، فأصبحت المرأة اليوم في ظل الأسرة النووية اكثر تحررا من قيود النظام الابوي التقليدي، وخاصة بعد دخولها التعليم ونيلها الشهادات الجامعية التي اهلتها للعب ادوار جديدة في المجتمع، فلم يعد تزويج الفتاة من الاولويات التي تسعى اليها الأسرة اليوم، وانما ادخلت قبله اولويات حتمتها التغيرات الاجتماعية، وهي التعليم وتحصيل الشهادة الجامعية، وبعدها العمل ليأتي الزواج في المراتب التالية، وأصبحت الأسرة اليوم تشجع الفتيات على التحصيل العلمي، والاستقلال المادي قبل الزواج، فالزواج في نظر الأسرة لم يعد ضمنا للفتاة في ظل الارتفاع

الكبير لحالات الطلاق والاهمال العائلي وغيرها. فالمنطق الاجتماعي اليوم للأسرة هو تربية وتنشئة بنات مستقلات ماديا ومعنويا ومتمكنات مجابهة من الظروف باختلافها، دون الحاجة الى الرجل الذي لم يعد هو المستقبل والضمان الوحيد لهن.

5- التعليم وتغير مكانة المرأة الجزائرية وتغيرات نظرتها للزواج:

من اجل فهم الجوانب الذاتية لظاهرة تأخر زواج الفتاة خريجة الجامعة وربطها بواقعها الذي تأثر بالعليم العالي وطموحها المهني والمادي، وجدنا ان أنسب النظريات هي تلك التي تفسر الفعل الاجتماعي من اتجاه الاختيار العقلاني الذي يشدد منظوره الاتجاه على الفرد كفاعل، حيث تقول النظرية: " بان خيارات الفرد وتفضيلاته تأتي نتيجة لما يقوم به من حسابات، لكنها تأتي كذلك نتيجة السياقات العائلية والاجتماعية والسياسية التي يتشابك فيها البشر، والتي تحيط بهم من كل الجوانب"²⁴، فالفتاة هنا هي الفاعلة ضمن الظاهرة، وتأخر الزواج مرتبط بقراراتها واختياراتها الشخصية التي تدخل ضمن اطارها الاجتماعي، فالاختيار حسب هذه النظرية يقوم على أساس اختيار ما يجلب للفرد اكبر درجة من المنفعة والاشباع، الى جانب افتراض ان الفرد يعرف ما هو وضعه، فهو يختار على اساسه، كما ان هذه النظرية تقول ان رغبات الفرد ومعتقداته هي التي تبرر افعاله واختياراته²⁵، وهنا يظهر التداخل النظري بين النظرية البنائية والوظيفية ونظرية الاختيار العقلاني لان الفرد يستمد معتقداته وقيمه وارهائه محيطه الاجتماعي، خاصة الاسرة وتغيرها سيغير مبادئ افرادها.

عاشت المرأة الجزائرية في ظل المجتمع الابوي التقليدي مهمشة وفي مرتبة غير بارزة بالرغم من الادوار الكثيرة والوظائف التي تقوم بها بجانب الرجل، ولكنه حجبتها من مبدا كونها عورة ولا يجب ان تعرف، فزوجت في سن مبكرة من اجل حفظ وإثبات شرف الأسرة دون ان تسأل عن رأيها. تغيرت احوال المجتمع وكانت اهم اسباب التغير دخول المرأة مجال التعليم فتغيرت مكانتها بتحررها النسبي من سيطرة النظام الابوي، وتقلدت ادوار طالما كانت حكرا على الرجال، وتغيرت معها نظرتها للأمور، ومواقفها من الاحداث والظواهر، ومن بين اهم تلك التغيرات عملية الاختيار للزواج، التي لم يكن لها فيه اي رأي فيه في مراحل سابقة، وبعد ان كان الزواج هو الاولوية الوحيدة للفتاة لتحقيق وضعها وتكتسب مكانة اجتماعية، اتاح لها التعليم العديد من الخيارات، فاختارت التعليم والدراسات الجامعية والعمل قبل الاقدام على الزواج، فتأخر زواجها الى ما بعد الخامسة والعشرين كأقصى تقدير.

يتزوج الناس لأسباب عديدة منها تبادل الحب، البحث عن الامن الاقتصادي، والمزمل المستقل، انجاب الاطفال، وتحقيق الامن العائلي، أو الاستجابة لرغبة الوالدين، الهروب من الوحدة او من منزل الوالدين، او من موقف غير مرغوب فيه، الحصول على الرفقة والمال، الجاذبية الجنسية، طلبا للحماية، بحثا عن الشهرة، الوصول الى مركز اجتماعي معين، المغامرة بالإضافة الى اسباب اخرى لا حصر لها²⁶، ولكن عندما تتمكن الفتاة من تحقيق بعض هذه الغايات دون زواج فنظرتها للزواج اكيد ستتغير.

أصبحت اليوم اهم معايير الزواج عند المرأة الجزائرية المعاصرة ذات المستوى التعليمي العالي والمهني هو التكافؤ، تكافؤ في المستوى التعليمي والثقافي والمهني، فالمرأة اليوم اصبحت اكثر وعيا بضرورة التكافؤ في الزواج من اجل استقراره واستمراره، وتجنب الخلافات التي قد تنشأ جراء تفاوت في المستوى التعليمي، او الثقافي والمهني، والنتيجة التي توصلنا اليها من خلال البحث الميداني هو انه كلما ارتفع المستوى التعليمي والمهني للمرأة كلما تغيرت معاييرها في الاختيار الزوجي وكانت عائقا امام زواجها، كما تقول احد المبحوثات: " الزواج اليوم اصبحت المسائل الشخصية.....، فبعد ان وصلت الى هذه الدرجة التعليمية، والمهنية (مهندسة معمارية)، أصبح من الصعب علي إيجاد شخص يتوافق ومستوي، لا اقول انه لا يوجد ولكن من الصعب ان ألتقي بالشخص الذي اتقن الارتباط به تتوفر فيه كل الصفات التي اريدها كالمستوى التعليمي والثقافي والمهني والاستقرار المادي، بالإضافة الى كونه اعزب او لم

يسبق له الزواج، فالزواج في مثل حالي قرار مصيري فإما ان اتزوج بمن يتوافق معي ويرضي طموحي وتوقعات الأسرة والمجتمع حولي، واما ان اختار البقاء دون زواج عوض التنازل عن بعض الصفات والخوض ربما في زواج فاشل في جانب من الجوانب"

انتشار التعليم ارتفاع مستوياته لدى المرأة جلب معه قيم اجتماعية جديدة فيما يتعلق بالاختيار للزواج، واهم تلك القيم التكافؤ في المستوى التعليمي، ونوع الوظيفة التي يشغلها الشاب، والقيم المادية، وبالرغم من كون قيم الاخلاق والدين تبقى في مقدمة القيم الاجتماعية للزواج، الا انها تطلب بالموازاة مع القيم المادية الاخرى، فعندما تقول الفتاة الجامعية : "اريد زوجا متعلما، مثقفا، ميسور الحال ماديا، متدينا، خلوقا، له بيت مستقل"، فما هو الا دليل على ان لها حرية اكبر في الاختيار باعتبارها جامعية وتعي ما حاجاتها واولوياتها في الحياة، وقد تؤجل وترفض المتقدمين للزواج بها بسبب غياب شرط من الشروط التي تتمناها في زوجها المستقبلي. بالرغم من الى كون تأخر سن الزواج يمكن ان يكون اختياريا فهو في اغلب الاحيان اجباري، كان تعيل الفتاة اسرها، ويرفض الأب تزويجها في السن المناسبة، والمعلوم ان حظوظ الفتاة للزواج تقل كلما ارتفعت سنها، لأن مبدأ الزواج بالأصغر سنا لم يتغير مهما تغيرت الظروف والأوضاع، كما ان المرأة من جهتها تفضل الرجل الاكبر منها سنا لأنه اكثر وعيا ونضجا.

6- واقع المتأخرات عن الزواج في ظل مجتمع ذكوري:

بالرغم من الادوار الاجتماعية والمكانة التي حققتها المرأة من خلال التعليم ونيلها الشهادات العليا، ولولوجها الفضاءات العامة الخاصة بالرجال، ومنافستها له في العديد من الادوار والوظائف الاجتماعية، الا ان واقعها كإمرأة في ظل مجتمع أبوي، او أبوي حديث كم يتغير، كما يقول هشام شراي: "لهذا نسمي حدثا المجتمع الأبوي بالحدثا الأبوية، فهي حدثا مزيفة لا تسير بالمجتمع الى الحدثا الحقيقية، وانما الى مجتمع أبوي مستحدث، لأنه مهما ادخلت عليه من تغييرات، لا تتغير البنية الاجتماعية القائمة، ولا تمس منها الا مظاهرها الخارجية، فالصورة تغيرت ولكن الاصل والواقع لم يتغير".²⁷

فالواقع ان المجتمع الجزائري لم يزل ينظر للمرأة بكونها ذلك الجنس الثاني الذي لا دور و لا مكانة اجتماعية الا من خلال الزواج، والانجاب، فتلك النظرة التي تتسم بالشفقة احيانا اتجاه وضعها كعزباء مهددة بالبقاء دون زواج، بالإضافة الى نظرة تتسم بالقلق حول مستقبلها الزواجي المجهول بتقدم سنها، كما ان هناك اتجاه اخر للمجتمع نحو المرأة العاملة والمستقلة ماديا بانها مسترجلة، ومتطلبة، ولذلك لن تجد الرجل الذي يمكن ان يتماشى ومتطلباتها، وقد تكون تهديدا لاستقرار المجتمع من خلال تلك الممارسات الناتجة عن تأخر الزواج كالعلاقات خارج اطار الزواج، وهنا يصبح وضعها مشبوها.

ان تلك الاتجاهات السلبية للمجتمع اتجاه المرأة التي تتأرجح بين الشفقة والقلق والخوف، والتوجس من وضعها كعزباء، قد يدخلها من متهات من الاضطرابات الاجتماعية والنفسية التي قد تنعكس في سلوكها كالعذوانية او الانطوائية، أو قد تؤثر سلبا على اختيارها الزواجي فتتنازل عن شروطها للزواج، للخروج من حالتها النفسية ومن ضغط الأسرة والمجتمع بالدخول في علاقة زواج غير متكافئة ينجر عنها مشاكل زوجية واسرية قد تنتهي بالطلاق او التفكك الأسري.

خاتمة :

يلعب التعليم العالي للفتاة دورا كبيرا في تأخرها في الزواج، بالإضافة الى تغير الدور الاسري في مسألة الاختيار الزواجي للفتاة، وتنشئتها اجتماعيا لتكون زوجة في سن مبكرة، فالتعليم اكسب الفتاة طرق جديدة للتفكير واساليب مختلفة للحياة، كما انه غير من نظرة الأسرة والمجتمع اليها، فأصبحت فاعلة بعد ان كانت مهمشة في ظل النظام الابوي التقليدي، فالمرأة اليوم وصلت الى مستوى من التفكير يسمح لها باختيار اولوياتها في الحياة، ومنها اختيارها للزواج ووضع الأسس التي تتناسب مع الوضع الاجتماعي الذي حققته من خلال التعليم والعمل، كما ان استقلالها الاقتصادي عزز من حريتها الشخصية في مسألة الاختيار للزواج، فهي لم تعد تشكل عالة على الأسرة وانما العكس قد يصل الامر لتكون المعيلة الوحيدة اسرة او مساهمة في شؤونها الاقتصادية، ويتأخر زواجها لتلك الاسباب. ولكن مهما تغيرت اوضاع المرأة وظروفها بسبب التعليم والعمل، فالزواج يبقى ضروريا بالنسبة لها نظرا لحساسية وهشاشة وضعها في مجتمع يراها انثى اكثر من كونها امرأة تتقلد مناصب مثلها مثل الرجال، ولكنها تجد نفسها في وضع متناقض بين التمسك بمبادئها واتجاهاتها للزواج متكافئ من كل الجوانب وهنا قد تجد عوائق كثيرة امامها اهمها تأخر الشباب في تكوين نفسه خاصة من الناحية المادية لانتشار البطالة وضعف الدخل الفردي الذي يقابله ارتفاع تكاليف المعيشة وتغير اساليب العيش، او ان تتنازل عن بعض شروطها من اجل تكوين اسرة والانجاب الذي يصبح من العوامل الاكثر تأثيرا في اختيارها للزواج كلما كانت رغبتها كبيرة في الامومة، وبين ارضاء الذات وارضاء المجتمع تعيش المرأة المتعلمة والعاملة اليوم في صراع.

الهوامش :

- ¹ غيردا لينر: نشأة النظام الابوي، ت. اسامة اسبر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013، ص 9.
- ² الترماني عبد السلام : الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام دراسة مقارنة، عالم المعرفة 1994، رقم 80، ص 15 .
- ³ وزارة العدل: قانون الأسرة، الديوان الوطني للأشغال التربوية، ط3، 2002، المادة الرابعة، ص 5.
- ⁴ ادوارد ويستر مارك: موسوعة تاريخ الزواج، دراسة انتروبولوجية، ت. مصباح الصمد وآخرون، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، 2001، ص 285.
- ⁵ باربارا،س،منش، و آخرون، اتجاهات حول توقيت الزواج الاول بين الرجال و النساء في العالم النامي، ورقات عمل لقسم بحوث السياسات، مجلس السكان، 2005، ص10.

⁶ فيليب لاورت-تولرا، جان بيار فارنييه: اثنولوجيا أنثروبولوجيا، (ترجمة مصباح الصمد)، مجد المؤسسة

الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 2004، ص 66.

⁷ ادوارد ويستر مارك: موسوعة تاريخ الزواج، المرجع السابق، ص، ص، 322 - 324.

⁸ مولود ديدان: قانون الأسرة اخر تعديل، دار النجاح للكتاب، الجزائر، 2005.

⁹ Kamel Kateb : Polygamie et répudiation dans le marché matrimonial algérien pendant la période coloniale; Cahiers québécois de démographie ; Volume 29, Numéro 1, printemps, 2000, p. 1-32 ;

p1.

¹⁰ Ibid, p 15

¹¹ Zahia ouadah bedidi ; Kamel Kateb : l'actualité démographique du Maghreb ; ministre de l'éducation national ; 2002; p 25.

¹² CICRED ; SERIES M ma population de l'Algérie, imprimerie louis- jeans, 1974.p 38

¹³ **Louadi Tayeb : les déterminantes de la baisse de la fécondité en Algérie, revu de science humaine univ Mohamad khiader Biskra, no 24, pp 43, 61, mars 2012, p 48.**

¹⁴ مارك اوجيه، جان بول كولانين: الأنثروبولوجيا، ت. جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008، ص 7.
¹⁵ باربارا، منش، و اخرون، اتجاهات حول توقيت الزواج الاول بين الرجال و النساء في العالم النامي، ورقات عمل لقسم بحوث السياسات، مجلس السكان، 2005، ص5.

¹⁶ المرجع نفسه، ص 11.

¹⁷ **عيسى الشماس: مدخل الى الأنثروبولوجيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 89.**

¹⁸ عمارة محمد: تحرير المرأة بين الاسلام و الغرب، مكتبة الامام البخاري، القاهرة، 2009، ص 37.

¹⁹ مجموعة من الاساتذة: منهجية البحث العلمي، قواعد ومراحل وتطبيقات، كلية العلوم الادارية والاقتصادية، الجامعة الاردنية، 1999، ص 46.

²⁰ احمد ابوزيد: البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الثاني الأنساق، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011، ص

3

²¹ احمد ابوزيد، م، س، 2011، ص 6

²² عاطف وصفي: م، س، 1981، ص 90.

²³ بهاء الدين خليل تركية: علم الاجتماع العائلي، دار الميسرة، عمان، 2015، ص 45

²⁴ هان كريس وكيث هارت: الأنثروبولوجيا الاقتصادية، التاريخ، الاثنوغرافيا، والنقد، ت. عبد الله فاضل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2014، ص 25.

²⁵ ايان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابر ماس، ت . محمد حسن غلوم، عالم المعرفة، الكويت، ص 102

²⁶ بهاء الدين خليل تركية: ن، م، 2015 ص 43

²⁷ هشام شرابي: مقدمات لدراسة المجتمع العربي، ط6، دار نلسن، لبنان، 1999، ص 209-210.